تقديم

عدنان الأمين(*)

تخيلوا أنه وقع حادث سير بين سيارتين، وأصيب فيه أحد السائقين، وأردنا أن نعرف بعد خمس دقائق فقط ماذا حصل؟!. ثمة شهود رأوا وشهود أحياناً لم يروا ولكن يدّعون أنهم رأوا، فيختلقون روايات عما حدث، هذه أوّل مشكلة في التفكير في كتابة التاريخ. أما الشهود، فمنهم من كان في الطابق السابع ومنهم من كان من جهة اليمين ومنهم من كان من جهة اليسار. يقول ريمون بودون، إن الإيدولوجيا تتعلق بالموقع أين أنت؟!، إذا كنت على اليمين أو كنت بعيداً أو كنت قريباً أو كنت فوق، أو كنت تحت، فإنك سترى الشيء مختلفاً عما رآه زميلك في المواقع الأخرى. إذن، قضية وصف ماذا حدث مرتبط أيضاً بالموقع الذي يوجد فيه الراوي. ويقول أيضاً إنه مرتبط فوق ذلك بالاستعداد disposition، أنت جوعان، أنت مريض، أنت متحمس... إلخ. عندما تروي، تروي استناداً إلى موقعك، وتروي استناداً إلى استعدادك. الأمر الثالث الذي يؤثر على الرواية هو الزمن الذي لم يتكلم عنه بودون لأن هذا لا يعنيه. هل الرواية تجري كتابتها بعد يوم أو بعد ساعة أو بعد سنة أو بعد ١٠ سنوات. طبعاً مع مرور الزمن تُفتقد المصادر ولكن أيضاً يجري تبسيط الرواية طبقاً لصالح القوى الموجودة ويجري تمزيق الروايات الأخرى أحياناً، كما حدث مع القرآن الكريم حيث وحّد بعد ٣٠ سنة ومزّقت المصاحف الأخرى. والأناجيل نفسها، الجيل الأول والثاني والثالث وكذا دواليك، كتبت بعد سنوات بناء على تصفيات جرت لروايات، كما بيّن كمال الصليبي في كتابه المنشور حول الأناجيل.

خلاصة القول، إن موضوع كتابة التاريخ موضوع معقّد ونحن نريد أن نوحّد هذا

(*) مستشار التعليم العالي في مكتب اليونسكو الإقليمي في بيروت، وأستاذ محاضر في الجامعة الأميركية في بيروت. البريد الالكتروني: ad_amine@yahoo.com.

الكتاب. القضية هنا، هو السؤال هل نوحّد الكتاب؟!. إتفاق الطائف يقول بتوحيد كتابي التربية المدنية والتاريخ. ومنذ ذلك الوقت ونحن نجادل حول موضوع توحيده.

نحن الآن أمامنا نخبة من المتخصصين والعلماء والمفكرين ويريدون أن يطرحوا أو يناقشوا موضوع كتابة التاريخ علماً بأنه مع تعدد الروايات يتعدد المؤرخون ويتعدد الكتّاب ويتعدد القرّاء. حتى لو وضعنا كتابا واحدا هناك قراء مختلفون للكتاب الواحد نفسه. كتاب التربية المدنية الموحّد يقرأه المعلمون بطرق مختلفة تبعاً لمرجعياتهم ولمصادرهم ولرواياتهم.

إذن، هذا هو موضوع هذه الجلسة. نبدأ بالدكتور منذر جابر في أزمة كتاب التاريخ المدرسي: البعد التاريخي. ماذا حدث منذ أن طُرح موضوع تأليف منهج جديد لكتاب التاريخ؟ تعلمون أن المناهج صدرت عام ١٩٩٧ بجميع موادها ما عدا مادة التاريخ، ثم صدر منهج التاريخ بعد ٣ سنوات، ثم وُضعت كتب مدرسية ثم أحرقت أو أتلفت. . . ، ثم توقف الموضوع. وما زال التلاميذ يدرسون حتى اليوم في كتب تاريخ وضعت طبقاً لمناهج ١٩٧١، وبتقدمون على أساسها إلى الامتحانات الرسمية في البريفيه والمرحلة الثانوية، يعني أنها كتب تعود في تاريخها إلى حوالي أربعين سنة.